Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العربي القديم، هي في الحقيقة تلك الكثبان الرملية التي تعطي في الربيع نباتات وخضرة، حيث توجد مصادر المياه وأماكن الكلأ والمرعى. ولكننا لا نجد هنا وصف ظواهر الطبيعة الخطيرة بالنسبة للبدوي المتنقل ـ العواصف الرملية والسيول، التي تجلب المصائب غير المحدودة.

وهذا ما يحدث أيضاً على مسرح الحيوانات: فالشعراء يصفون الخيل، والإبل، والجمال، والنعامات، وذئب الجبال، وابن آوى، والضباع، والظباء، وحمر الوحش، والحجل، لكنهم قد حذفوا من وصفهم بشكل كامل وصف الأسد، والفهد. ويمكن أن ترى في هذا آثار التصورات السحرية: إذ إن الظاهرة المريحة، المرغوبة يمكن أن تستجلب بطرق الدعاء، والترداد الجزئي لتسمية هذه المادة، التي كانت في الإدراك القديم غير منفصلة عن اللفظة التي تعني المادة، وكذلك غير منفصلة عن الظاهرة الطبيعية.

والظواهر المتبقية للمعتقدات والتصورات السحرية يمكن أن يعثر عليها حتى في اللغة، حيث قد وجد عدد كبير من المترادفات، كالألفاظ الدالة على الأسد، ويقدم كل منها تمايزاً خاصاً بالمعنى: «الأسمر»، «المزمجر»، «الجسور»، «الصنديد»... إلخ. وهكذا، مع الإعجاب بقوة الأسد وشجاعته، يوجد الخوف من ذكر اسمه الذي يشار إليه كصفة ونعت، دون لصقه باسم الأسد. ولهذا يمكن عقد المشابهة بين المقاتلين الشجعان والأسود الجسورة أو الفهود، لكن يمنع وصف هذه الحيوانات.

وهذا بالذات ما يحدث مع المنظر ـ منظر الظاهرة المستمرة الدورية ـ كالمطر الربيعي. الذي يعطي الأرض الخصب. ولهذا كثيراً ما